ردمك (النشر الإلكتروني): 1658-7472 المجلد: العاشر العدد: السابع والثلاثون يناير – مارس 2024

مجلة جامعة الباحة

للعلوم الإنسانية

دورية – علمية – محكمة

مجلة علمية تصدر عن جامعة الباحة

Email: buj@bu.edu.sa https://portal.bu.edu.sa/ar/web/bujhs

مجلة جامعة الباحة
للعلوم الإنسانية

ردمك (النشر الإلكتروني): 1658-7472 | المجلد العاشر | العدد: 37 | يناير – مارس 2024

المحتويات

التعريف بالمجلة .....

هيئة التحرير لمجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية .....

المحتويات .....

النوموفوبيا لدى الذكور والإناث بمنطقة مكة المكرمة في ضوء بعض المتغيرات الديموغرافية 1 – 27

جواهر بنت إبراهيم بن عبده زبيدي

مقاصد سورة الممتحنة، وأثرها في حياة المسلمين المُعاصرة: دراسة تفسيرية 28 – 74

وليد بن عبد المحسن بن أحمد العُمري

أسس بناء الأهداف في ضوء القرآن الكريم: دراسة تطبيقية على آية الدَّين 75 – 97

فهد بن سالم محمد رافع الغامدي

دور التعليم الجامعي في تنمية مهارات المستقبل لدى الطلبة في ضوء برنامج تنمية القدرات البشرية: جامعة شقراء أنموذجًا 98 – 130

نوف بنت مناحي عوض العتيبي

سيميائية العنوان اللفظي في ديوان معركة بلا راية لغازي القصيبي 131 –156

إبراهيم الأغبش الأمين عبد الدافع

سيميائية النظام العاطفي في رواية رغوة سوداء لحجي جابر 157 –177

أميرة بنت محارب العتيبي

حديث قدوم صُرَد بن عبد الله الأزديفي وَفْدِ قومه على النبي–صلى الله عليه وسلم–، وفتحه جُرَش– رواية ودراية 178–244

إبراهيم بركات صالح عيال عواد

دراسة مرجعية لثلاث نظريات رئيسية في اكتساب اللغة الثانية: النظرية السلوكية، والنظرية المعرفية، والنظرية التفاعلية (انجليزي) 245 – 265

نسرين سعود الأحمدي

دراسة دور وسائل التواصل الاجتماعي في تشكيل تفضيلات اللغة في مجموعات الأجيال المختلفة (انجليزي) 266 – 286

عبد العزيز مشبب محمد الشهراني

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الباحة
وكالة الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي
مجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية
تصدر عن جامعة الباحة
مجلة دورية ـــ علمية ـــ محكمة

الرؤيـــة: أن تكون مجلة علمية تتميز بنشر البحوث العلمية التي تخدم أهداف التنمية الشاملة بالمملكة العربية السعودية، وخدمة البحث العلمي الأصيل وطنياً وعالمياً، وتسهم في تنمية القدرات البحثية لأعضاء هيئة التدريس ومن في حكمهم داخل الجامعة وخارجها.

الرسالة: تفعيل دور الجامعة في الارتقاء بمستوى الأداء البحثي لمنسوبيها بما يخدم أهداف الجامعة ويحقق أهداف التنمية المرجوة ويزيد من التفاعل البناء مع مؤسسات المجتمع المحلي والإقليمي والعالمي.

رئيس هيئة التحرير:

أ. د. سعيد بن أحمد عيدان الزهراني

نائب رئيس هيئة التحرير:

أ. د. محمد بن حسن زاهر الشهري

مدير التحرير:

د. يحيى بن صالح حسن دحامي

أعضاء هيئة التحرير:

أ. د. فهد بن محمد الحارثي
أستاذ (عضو هيئة تحرير)

د. احمد بن محمد الفقيه
أستاذ مشارك (عضو هيئة التحرير)

د. عبد الله بن زاهر الثقفي
أستاذ مشارك (عضو هيئة التحرير)

ردمك النشر الإلكتروني: 7472ـــ 1658

ص ب: 1988
هاتف: 00966 7274111/ 00966 17 7250341 :17
تحويلة: 1314
البريد الإلكتروني: buj@bu.edu.sa
الموقع: https://portal.bu.edu.sa/ar/web/bujhs

عنوان البحث

سيميائية النظام العاطفي في رواية رغوة سوداء لحجي جابر

د.أميرة بنت محارب العتيبي

أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية–جامعة الباحة

Received: 11/9/2023 **Accepted: 15/2/2024** **Published: Vol. 10 Issue 37**

الملخص:

رصد البحث هوى الخوف في رواية ر"غوة سوداء" للمؤلف حجي جابر على مستوى الخطاب والبنية مما استدعى دراستها وفق سيميائية الأهواء للناقدين: جاك فونتاني Jacques Fontanille وأ.ج غريماس Algirdas Julien Greimas السيميائيين واعتماد منهجهما في المخطط النظامي العاطفي في التحليل والتطبيق. وقد لوحظ تأسيس للهوى بشكل واضح في الرواية؛ حيث رُصد المعنى الأهوائي في أول تكونه الهلامي من خلال عتبة العنوان والغلاف والمدخل السردي، ونمذجة الشخصية الرئيسة في صور الآخرين، وإحساسه بالفقر والعوز، وانتفاء الطمأنينة، والجهل الذي يطوق الذات، التي تصنف مادة أولية يتركب منها الهوى؛ مما يهمد لانطلاق هوى الخوف بعد تحقيقه الكفاية وتحيين صيغ الاستعداد الهووي، الذي تمظهر في أشكال الانفعال الشعوري والجسدي، التي مثلت مستويات الكثافة، والامتداد، وقوة الانتشار للهوى. حتى وصل الهوى إلى درجة التهذيب أي الحكم الأخلاقي على الهوى، فقد تمظهر إيجابيًا في أكثر من موضع في صيغ أفعال مقاومة يفسرها رفض الذات لواقعها، وتمظّهر التهذيب سلبيًا في موت الذات وعدميّتها.

الكلمات المفتاحية: الهوى، العاطفة، الاستهواء، رغوة سوداء، مسار انفعال، مخطط عاطفي

Title of paper

The Path of the Emotional Hero: Semiotics of the Emotional System in the Novel of "Black Foam" by Haji Jabir

Dr. Amira bint Muharib Al-Otaibi

Associate Professor, Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Al Baha University

Abstract:

The research examined the urge of fear in the novel "Black Foam," authored by Hajji Jabir, at the level of discourse and structure, which necessitated studying it according to the semiotics of the passions of the semiotic critics, Jacques Fontanille and A. J. Algirdas Julien Greimas, and adopting their approach to the emotional systemic scheme in analysis and application.

Passion establishment was clearly observed in the novel; where the erotic meaning was monitored in its first gelatinous formation through the threshold of the title, the cover, the narrative approach, and the modeling of the hero in the images of others, and his sense of poverty and destitution, the absence of tranquility, and the ignorance that surrounds the self, which is classified as a raw material from which passion is composed; which paves the way for the release of the urge of fear after achieving sufficiency and updating the formulas of passion disposition, which manifested itself in the forms of emotional and physical emotion, which represented the levels of intensity, extension, and passion's diffusion power, till the passion reached the point of refinement, i.e. moral judgment on passion. It manifested itself positively in more than one place in the form of acts of resistance explained by self-rejection of its reality, and refinement manifested negatively in the death and nihilism of the self.

Keywords: passion, emotion, lust, black foam, emotion path, emotional scheme

المقدمة

تحظى سيميائية الأهواء/ العواطف بكونها إضافة تسد ثغر الدراسات المحايثة السابقة؛ لأنها تتناول جزءًا غُيبت دراسته في السيميائية، وهو تسليط الضوء على تفاعل إحساس الإنسان مع محيطه. والعالمان اللذان يعود الفضل إليهما في صياغة سيمياتية الهوى هما جاك فونتاني Jacques Fontanille وأ.ج غريماس Algirdas Julien Greimas في كتابهما المشترك[1]؛ اللذان تطرقا إلى العلاقة المحسوسة والانفعالية التي تقيمها الذات مع نفسها والعالم الخارجي. وخلال العقود الأخيرة جعلت السيميائية أهمية لمعنى الهوى أو الحالة النفسية (موضوع سيميائية الأهواء) فالعامل إلى جانب أنه يعمل فهو يحس ويحتاج إلى الحالتين معًا لإثبات وجوده والتعبير عن مشاعره وإدراك مبتغاه والتأثير في الآخرين؛ لذا فسيميائية الأهواء تحاول أن تعزز مكانتها داخل النظرية السيميائية العامة، للتدليل على استقلالية البعد الانفعالي على المستوى النظري والتطبيقي على حد سواء، ويعرف هذا النوع من السيميائيات بأسماء أخرى على نحو: السيميائية التوترية والسيميائية الاتصالية وسيميائية المحسوس.[2] أيضًا وتعرف باسم سيميائية العواطف.

تشكل العاطفةُ جوهرَ قيمة الهوى، وهي المادةٌ الأساس في سيمياء الأهواء، باعتبار الهوى سابقًا على الممكناتِ الدلالية المستترة، فهو من حيث الطبيعة وممكنات التّركيبِ يعدّ سلسلةً من الحالات الانفعالية التي تتطوّر خارج البعدين المعرفي والتّداولي، فالهوى يشكّل بُعداً جديداً داخل المسار التّوليدي يطلق عليه البُعد الانفعاليّ، فالإنسان لا يفعل فقط، بل يُضمّن الفعل شحنة انفعاليّة تحدّد درجة الكثافة التي يتحقق من خلالها هذا الفعل. وهي إشارة أيضاً إلى طبيعة كينونة الذات الفاعلة وتأثيرها في فعلها.[3] لذلك، فإنّ هذا البُعد يتجسّد في مرحلة أولى من حيث التحققات الخطابيّة من خلال أدوار باتيمية.[4] وبالتالي نلاحظ أن الهوى يعمل على تقليص الفوة بين المعرفة والحس، وتتحقق دراسة الأهواء بالاهتمام بآثارها المعنوية كما تحققت في الخطاب. فالأهواء والانفعالات والإحساسات ظواهر مستمرة وتدريجية يتطلب تحليلها متتالية خطابية تتكون من تراكب للحالات والأفعال؛ وتتشكل الأهواء من مادة الاستهواء الذي يختص بالجسد المحسوس، فيأتي الاستهواء أولًا ثم التوتير بوصفها حالة تالية ومحققة له، وتتحدد الذات في مرحلة التوتير الأولي من خلال رغبة وإرادة، فتصبح الذات كيانًا مهيَّأً لاستقبال كينونة تعتمد ظلال القيمة، وتصل الذات بموضوع القيمة[5].

أولت سيميائيةُ الأهواء جلّ عملها في معالجة الجانبِ الشعوري لعامل الذات من وضعية البدء حتى سيرورة الإنجاز والانتقال للوضعية النهائية، فإذا كانت سيميائية العمل تهتم بفعل التحول فإن سيميائية الأهواء تركز على الحالات

لعامل الذات في الملفوظ السردي. وعليه "فسيميائية الأهواء تندرج في سياق المشروع النقدي الذاتي للنظرية السيميائية، فالاهتمام بالبعد الهووي بعد حصر البعدين التداولي والمعرفي يملأ بياض النظرية السيميائية الأساس، إنّ ظهور إشكالية الأهواء والعواطف الإنسانية في فضاء الصرح السيميائي قد أعاد مباشرة الاعتبار إلى الحياةِ الداخلية للذات بعدما تم استبعادها تحت إكراهات الخلفية البنيوية، لذا فقد فرضت مقاربة هذا البعد من الناحية الإجرائية إعادة تشكيل النموذج التوليدي، لأن التشكلات الهووية تتموقع في ملتقى كل محافل المسار التوليدي للدلالة، فتمظهرها يقتضي بعض الشروط القبلية الخاصة ذات الطبيعة الإبيستمولوجية، وكذلك بعض عمليات التلفظ"[6].

تراقب سيميائية الأهواء الحالة النفسية أو الذات الانفعالية في علاقتها بالموضوع أو الأشياء، ويقوم التحليل السيميائي للأهواء من تصييغ الحالات بناء على الكفاءات التي تحدد الذات والموضوع، ودور الهوى في العلاقة بينهما، وهو ما يعني الانطلاق من جهات الكينونة للهوى إلى تحديد كفاءة الذات. فهو استعداد الذات للقيام بفعل الهوى، ويمكن أن يعرف بأنه (ما يدفع إلى ...) أو (ينزع إلى ...).[7]

والتوتر الاستهوائي يدفع إلى تصييغ الذات وربطها بالموضوع. فالتوتر يوّلد الاستهواء، والاستهواء يولد الانفعال، الذي تقف وراء الكفاءة الذاتية، وهو ما ينتج عنه عناصر عاملية، أو فعل تلفظي خطابي. كما هو موضح في الشكل الآتي:

توتر ⟸ استهواء ⟸ هوى ⟸ كفاية ⟸ ذاتية ⟸ فعل

ومن ثم نجد أن سيميائية الأهواء تتحقق في تحديد كفاءات الذات، وتحديد التوترات. إذ "تعين التوترية الاستهوائية مجموع الشروط القبلية للدلالة".[8] ويعتمد التحليل في سيميائية الأهواء على المعيار القيمي، ومدى هيمنة الهوى على النص أو الخطاب، وتأثيره في إنتاجه.

ولقد وقع اختيار البحث على رواية رغوة سوداء[9] لحجي جابر نظير ما تتمتع به هذه الرواية من تراكم عاطفي لهوى الخوف تمظهر في كيفيات إحساس الذات الرئيسة ومشاعره وانفعالاته الشعورية والجسدية على المستوى السطحي للخطاب؛ فالشخصية داود/ أدال/ ديفيد/ داويت قد تبلورت شخصياته من خلال موضوعة الخوف وتعددت أسماؤه نتيجة لتجذر الخوف علامة هووية بالرواية، التي تبدأ من شعوره بالبؤس نتيجة الفقر والرغبة في الفرار من الموت، ثم يكبر الخوف ويشكل مسارًا ممتدًا حتى نهاية الرواية؛ فقيرٌ فكّر بالهربِ واختار الهجرة إلى بلد آخر ظنّ فيه النجاة؛ فاخترع حياة أخرى واخترع اسمًا جديدًا وهوية جديدة ليخرج من مأزق حياته السابقة، ويفشل في اختراعه ويعاود

الكرة ويغير اسمه، لكنّه ظلّ على حاله من الخوف والهلع؛ فلم يستطع حتى الهروب من لونه ولسانه وشكله المختلف عن الآخرين ليموت برصاصة لم تكن له؛ إنه الخوف الذي أسس الهرب عنوانًا له، ليوصله في النهاية إلى الموت والعدمية.

في علاقة الذات بالهوى/ الخوف في الرواية سنلاحظ تمظهر **ثنائية الخوف** الذي يقابله الطمأنينة، وثنائية الحياة التي يقابلها الموت، وبالتالي يتصور المربع السيميائي نحو الشكل التالي:

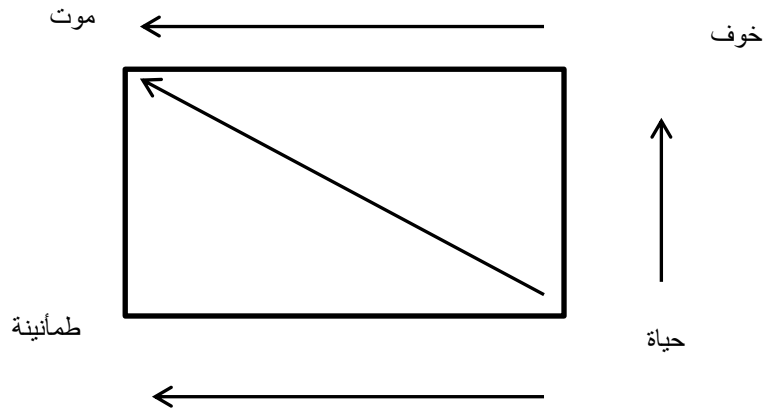

يكشف المربع السيميائي عن حالتين متضادتين مشحونتين بالانفعالات، تحقق الدلالة تمظهرها المعنوي من خلال العلاقات القائمة بين التضاد، وفق برنامج استهوائي.

تسعى الذات الاستهوائية إلى الشعور بالأمان الذي لا يحدث، لتحقيق القيمة/ الطمأنينة، وكفاءة الذّات هي الرغبة إلى جانب الإرادة مستندة على العاطفة، فالخوف والألم إضافة إلى جانب الأحاسيس المختلفة التي تنتج عن العاطفة من تأثر وقلق ودموع وخوف ويأس، تعتبر زيادة مقابلة مع البنية الصيغية التّي تمثّل الكفاءات، فيدفع التوتر الاستهوائي الذات الراغبة إلى الاتصال بالذوات أو الرموز التي تُكَوِّن لها القيمة/الاستقرار؛ من أجل التخلص من التوتر الناجم من هوى الخوف بفعل الفرار، ومن ثَمَّ يكون لاستدعاء هذه الرموز الدور الفاعل في تصوير هوى الذات، وإنتاج الخطاب الذي يشكله ذلك الهوى: "الناس هنا جميعهم مثله ينشدون النجاة بكل طاقتهم، ولا يهمهم من يسقط وسط الطريق. يطأطئون الرأس لمن فوقهم، ولا يضيعون فرصة إذلال من دونهم. النجاة أحيانًا تحدث بانكسار الآخرين أكثر منها بسلامتنا من الضرر لكن هذا لم يأتِ عبثًا، إنه نوع من الحماية، وخشية من الانكشاف"[10].

لذلك يحاول هذا البحث الإجابة على بضعة أسئلة تتمثل في: كيف تمظهر هوى الخوف سيميائيا؟ وكيف تجلّى الهوى على مستوى البنيتين السطحية والعمية للنص السردي؟ كيف تجلى مسار الذات الانفعالي للشخصية الرئيسة

وفق المخطط النظامي العاطفي؟ وذلك حسب معطيات المنهج السيميائي للعالمين غريماس وجاك فونتاني في كتابهما المشترك (سيميائيات الأهواء: من حالات الأشياء إلى حالات النفس).

إذن، سيعالج البحث مسار ذات الشخصية الرئيسة الانفعالي وفق المخطط النظامي العاطفي السيميائي الذي يراقب الحالة الاستهوائية للبطل من البدء حتى النهاية، إذ إنه "بناء إيدلوجي وشبكة لقراءة ثقافية مسلم بها في المستوى السيميوسردي بواسطة أسلوب استعادي، وبفضل الاستعمال الجماعي تتم ولادة نموذج ثقافي يمثل مخزونًا ليستدعى من جديد في الخطاب"[11]. ومن أهم **الدراسات النقدية السابقة** التي تناولت موضوع سيمياء الهوى:

- تأويل البنية العاطفية في ديوان مقام البوح لعبدالله العشي، للمؤلفه تسعديت بن أحمد، وقد قدمت هذه الدراسة للحصول على درجة الماجستير في جامعة مولود معمري تيزي وزو- الجزائر، عام 2019.
- النص الصوفي من منظور سيمياء الأهواء لرحيمة شيتر، وهو بحث منشور في مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، العدد الثالث عشر، 2013.
- سيمياء العواطف: قراءة في قصيدة (نام الخلي) للأسود بن يعفر، للباحث موسى ربابعة، وهو بحث منشور في مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، في المجلد الخامس عشر، العدد الأول، 2018.
- سيميائية الآهواء في رواية (2084) حكاية العربي الأخير لواسيني الأعرج، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، إعداد: عطا الله مليزة، كلية الآداب واللغات، الجزائر، 2015-2016.
- سيميائية الأهواء في تجربة ماهر الرحيلي الشعرية، للباحثة مروة مختار، رسالة ماجستير، جامعة جدة، 2022.

المخطط النظامي العاطفي

التأسيس

تبدأ هذه المرحلة مع بدء استعداد ذات الخطاب/ الراغبة لسلوك المسار الأهوائي، منتقية وبشكل مسبق عددًا من الأهواء دون آخر، ويبرز التأسيس في التشكيلات الأهوائية كصور تبرز بوصفها شروطًا مفترضة وتهيؤات قبلية، تحفز الذات التوترية على إنتاج الهوى تحت تأثير التوترات الموازية للأنشطار؛ وهناك من جهة ثانية الاستيثاق الذي استندا إليه تنبثق القيمة وغايتها توليد النظائر لاستقبال المرحلة التالية التي تصير فيها ذات هوى.[12] ولا يعني هذا أن دور التأسيس يقف عند افتتاح مسار الهوى، و إنما يرافق هذا الدور المسار الأهوائي طيلة أطواره.

تتجلى مرحلة التأسيس للاستعداد بما يسمى التوتر أو الاستهواء وهي محفزات انفعالية تسبق ظهور الهوى. وهي مرحلة إعداد الذات/ صناعة كفايات الذات للهوى. وهذه الكفاءة تؤهل الذات لأن تكون ذات هوى، ومستعدة لإطلاق المعاني الأهوائية في الخطاب. وبتحقق قيمة التأسيس تكون الذات قد استوفت شروط إنتاج الهوى، وبلغت جاهزيتها في تغذية الخطاب بآثار المعنى الهوائي.

عتبة الغلاف والعنوان

عتبة الغلاف هي بمثابة الاستهواء الكبير الذي يسنن اشتغال مسار الذات الاستهوائي، كما تعد تأسيسًا واضحًا وعريضًا للهوى الذي سيتشكل، فالغلاف يتشكل من ثلاثة ألوان رئيسة بين الرمادي والبني والأبيض الذي يحضر بشكل مستطيل وكأنه يقطع اللونين بشكلٍ صريحٍ ولافت للانتباه يتوسطه عنوان الرواية باللونِ الأسود ومُشكّلة بالحركات الإعرابية.

البني يمثل صورتين لشخصيتين مبهمتين بلا ملامح أو هُوية واضحة الأولى للذات الساردة والأخرى لذات الشخصية الرئيسة تتوسطهما منطقة رمادية مستطيلة الشكل وكأنها تمثل منطقة انثيال السرد وفق أرضية محايدة بينهما، وتصوّر المناطق الرمادية ضبابية المواقف والأحداث التي تسرد داخل الرواية التي يتوقعها القارئ.

يأتي العنوان باللون الأسود (رغوة سوداء) في مستطيل أبيض، هذا قد يشير إلى مشكلة وجودية تعاني منه الذات تتعلق بلونه الغامق وسط مستطيل أبيض اللون يشكل الأمل في الانعتاق والخروج من أزمته الخانقة أو يعكس تواجده وسط بياض لون بشرة متصل، تشكل فئة لون البشرة الغامقة شذوذًا وندوبًا فيه مما يعني إشكالات سردية متكررة الظهور. كما يشير العنوان إلى مادة تطفو فوق السطوح بلون أسود وليست أصيلة من مكونات السطح، وتأتي مشكّلة الإعراب لتعمّق فكرة تجذير هوية الشخصية الرئيسة داخل الرواية. فيما يأتي لون اسم المؤلف باللون الأبيض وسط ضبابية رمادية تعكس مشاهد الخوف الذي يصاحبه الانفعال الشعوري والجسدي لينقل صورة الحقيقة ويرويها بلسان أبيض مشكل الإعراب أيضًا.

ويأتي التأسيس واضحًا في رغبة المؤلف/ السارد في ما ورد بالصحفة الثامنة من عتبة مدخل سردي يمثل اقتباسًا للشاعر السوداني عاطف خيري "...آخر الناجين من الذبح، صار يعبد خنجرًا! عاطف خيري"[13]، مما يؤكد الإشكاليات التي تضمنها الغلاف والعنوان من أن هناك مشكلة وجودية تعاني منها الذات الرئيسة حيث تحقق فكرة النجاة الهرب من الموت والحياة مجددًا، الرغبة في الهروب سببها الهلع من البقاء، يحدد لنا هذا التأسيس أفقًا مبدئيا في تصور الانفعالات والأهواء التي ستغطي الخطاب بدلالاتها التي تتخذ من هوى الخوف مدخلًا كبيرًا لها.

يتجلى التأسيس منذ تصوير المشاهد الأولى في الرواية؛ فاللذات الرئيسة تنمذج صورته في إحساس الآخرين المبتهجين بفكرة الخلاص والفارين إلى مدن الأمان؛ أي في قدرته على التخلص من هوى الخوف: "في الداخل كان الرجال والنساء وصغار السن، على حال واحدة؛ ابتهاج بالاصطفاء يعكّر مذاقه شعور الفقد؛ النشأة والأصدقاء وإثيوبيا الأم. لكنه شعور رقيق، استطاعت تبديده أغنية واحدة لمارثا كيداني، بدأها أحدهم على استحياء، فأخذ يرددها الجميع بانتشاء، وهم يضبطون إيقاعها بالتصفيق والنقر على النوافذ:

ها قد جاء اليوم أخيرًا

جاء... جاء اليوم

جاء جميلًا... منتصبًا لا يخشى الأقدار

يمسح تعب الماضي

جاء... جاء اليوم

جاء يودع الأمس... ويبقى إلى الأبد

جاء... جاء اليوم"[14]

عدم التصريح يحقق نوعًا من التأسيس غير المباشر في الهوى. تأسيس منطوٍ يكشفه الآخر، فنحن بذلك أمام أزمة اجتماعية وظاهرة انفعالية تسترعي الانتباه من المتلقي.

تتحدد هذه الأزمة من خلال التعبير عن شعور الذات، فتظهر مشكلة المقاومة بين الرغبة في الهرب من الواقع أو البقاء للمواجهة. شعور الذات بالخوف من المجهول يحدث توترًا يعزز كفاية الذات وقدرتها على إنتاج الهوى: "بقدر ما كان يرغب في اجتياز البوابة الأخيرة، كانت قدماه تقاومان التقدم مع كل فراغ يخلفه الواقف أمامه، كأنهما تتوقعان فخًا يستدرجهما بخبث. كان يمرر عينيه بشكل أفقي كرادار خلال المساحة الضئيلة التي تركتها القماشة البيضاء المتدلية على وجهه. تعمد ألا تلتقي نظراته بأعين الحراس من حوله. كان يشعر أنه يتوسط بقعة صغيرة تتسلط عليها الأضواء الكاشفة بشدة، فيما الجميع اتخذوا أمكنتهم للفرجة عليه، حاول أن يتشاغل عن قلقه

بالتربيت على طفل بجواره حليق بالكامل عدا بقعة شعر تكومت في مقدمة الراس"[15]. المقاومة في ملء الفراغ القادم، التوقع بالاستدراج، تلبس حالة الترقب من خلال تقمص فكرة الرادار، تعمد الهروب من مواجهة أعين الحراس، شعوره بالاستهداف، محاولته في التشاغل، تشكل نقاطًا شعورية متوالية تؤسس للذات مشروعية كفايتها في انتاجية الهوى.

الاستعداد

تستعد الذات في إطلاق هواها الخاص/ الخوف، ويأتي عجز شعورها عن الوصف والحديث مكملًا شارحًا لموضعها من الأزمة الجمعية إلى الأزمة الخاصة، العجز الذي يقودها للصمت والحياد، منطقة محتشدة بالشعور، لكنها ثابتة لذلك تتجه إلى الصمت شكلًا للهوى: "لم يكن له أن يغادر دون أن يودِّعها. لم يطل انتظاره فقد لمحها تدور ببصرها تبحث عنه. أشار لها، فأسرعت نحوه فاردةً ذراعيها واحتضنته. أراد أن يقول لها كلامًا كثيرًا، أن يشكرها على أقل تقدير، لكنّه اختار الصمت في النهاية. هي أيضًا لم تنطق. شعر بأنفاسها الحارة، قبل أن يعلو صوتها بالنشيج. لكنّه ظل على سكوته. لم يبادلها مشاعر اللوعة، بدا فاترًا جامد الملامح، رغم أنه كان منخورًا من الداخل، يود لو يعوي كذئب مجروح، لكنه لم يفعل. أو لم يستطع ذلك"[16]. يتشكل العجز دلالة على هوى الخوف وفق معطيات الصمت والمقاومة ويعزز كفاية الذات في صنع هواها. "فبلاغة الصمت سيمياء وعي العارفين الذين يتطلعون إلى جسد لا يمتهن الروح بل يسعى إلى روحنة الجسد في حالة التوحد والحلول"[17] . الإرادة تشكل محفز استعداد في تحديد انفعالات الذات، مما يعني جاهزية الذات في تكوين معنى هواها.

مواجهة الذات نفسها تحقق استعدادها الانفعالي، تدرك كنهها، لكنّها لا تملك تفسيرًا لواقعها من شدة الخوف. لذلك تشعر بالعجز: "لا أعرف لمَ شعرت أني عارٍ تمامًا أمامها، كلماتي المزيَّفة تموت قبل أن تخرج لتصطدم بنظرتها الفاحصة. ضاعت كل محاولاتي لاسترجاع ثباتي، فآثرتُ الصمت، والغيظ يكبر داخلي. ليتني أستطيع إخبارها بعضويتي في ثمار النضال، وأغادر هذه الزاوية الخانقة التي تحشرني في دور المذنب دائمًا"[18]. الشعور بالفراغ من خلال الإحساس بالعري، وعدم القدرة على ملء هذا الفراغ بالكلمات المناسبة. إدراك الذات زيف ما تعايشه، الشعور بالضياع والإحساس بالذنب، كل تلك ممكنات شعورية قابلة للانطلاق تتخذ من الصمت لبنة أساسية في صناعته للهوى "نهض داويتْ من مكانه مذهولًا. هزّ رأسه وسار باتجاه الباب بخطى وئيدة. لم يكن يليق بأي كلمة أن ترافق هذا المشهد. كان الصمت ملائمًا للغاية. الصمت دائمًا ما يأتي على مقاس أشيائنا، بينما يندر إلا يكون الكلام فائضًا عن الحاجة"[19]. الصمت في مساره التأويلي داخل الرواية يشكل فائض معنى؛ ينطوي تحته ذات استهوائية.

يعزز استعداد الذات مع سيطرة العجز عليه الشعور بالغيظ، التذكر المرير، الانهاك، المشاعر المتقابلة، التوتر، الرغبة في الحياد، الإرهاق، التأمل الطويل. كل تلك التفاصيل تعكس حالة يقظة من الحساسية الشعورية وتظهر فيه الذات منفعلة: "نزلت سابا تعاين المكان، بينما تعالى شعور دوايت بالغيظ، وهو يتذكر كيف أتلف ما جرى في

السقيفة أعصابه. أغمض عينيه وأسند رأسه على ظهر المقعد، بينما يموج ذلك الرأس بمشاعر متقابلة. كان ينهكه هذا العسر الذي يحيط بحاله، هذا التوتر الذي يصاحب خطواته، كأنه ينتشلها من وحل خفيف في كل مرة. تمنى أن يجرب ولو مرة واحدة طريقًا محايدة، لا تعطيه، لكنها في المقابل لا تثقل روحه وجسده بالرهق. استغرق في تأمله قبل أن تخرجه منه سابا"[20]. يأتي التذكر بمحمولاته الانفعالية (الغيظ، تلف الأعصاب، المشاعر المتقابلة، العسر، التوتر، فكرة الانتشال والهروب) متلبسًا قناع الصمت في مرحلة غليان الانفعال/حال متحرك، والصمت/حال ثابت يهيأ لانطلاق الهوى بعد كل هذا الحشد الانفعالي.

يرصد القلق استعداد الذات في تراكمية هوى الخوف، ويرتبط بشعور العجز حيال ما يتفاقم في الذات الراغبة من توترها من خلال الإشارة الخطابية السطحية لتوفر شروط الحالة التوترية لانتفاء القيمة/ الطمأنينة، و تترجم على المستوى الإبستيمولوجي بـ"انغلاق" توتري أولي، يسمح بسيطرة الحالة التوترية للذات الراغبة وبتضح ذلك من خلال العجز وعدم القدرة على إثبات العكس/ الطمأنينة: "خرج داويت قلقًا من ذيوع ما كان يظنه سرًا. خشي أن يعتقد الرجال الخمسة أنه من نشر الخبر. لن يكون حينها قادرًا على إثبات العكس. بخطوات ثقيلة حمل أوراقه وقصد المعبد"[21].

تتوالى الإشارات الخطابية التي تحقق كافة صيغ الاستعداد الهووي للذات الراغبة؛ فنجد محاولات التخلص من المواجهة الركض مع الشعور بالألم الخانق يؤسس تداعيات عدة من شعور الذات بالازدراء وشماتة الآخرين فيها، وتعمد استفزازها بسبب ضعفها ولون بشرتها: "ركض وسع طاقته والحجارة تتناثر من حوله. أصابه أحدها في كتفه دون أن يجبره ذلك على التوقف. حين ابتعد توقَّف الصبية وهم غارقون في الضحك. لكن داويت، وبسبب خوفه، لم يتوقف إلا حين غاب عن أنظارهم تماما. كان يستجمع أنفاسه بينما ظهر إلى جواره رجل يلتحف رداء مهلهلًا وعلى وجهه ابتسامة شامتة سرعان ما تحولت إلى ضحكة مكتومة. شعر داويت بالغيظ"[22].

وعليه، يمكننا تمثل المرحلة التوترية لانتقال الهوى إلى الانفعال من خلال الرسم البياني التالي:

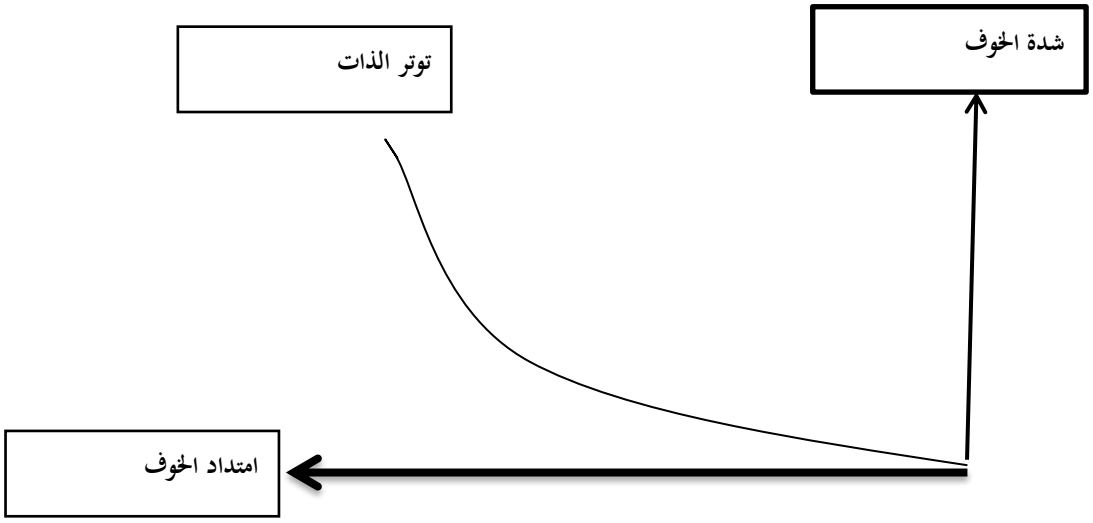

التحسيس والانفعال

تتحول التوترات في مرحلة التأسيس إلى هوى، وبعد تحقق وجود الهوى في الذات يأتي دور الانفعال؛ فتنفعل الذات معبرة عن انفعالها بالخطاب، و يتسنى لها التعرف على الاضطرابات الغامضة التي جربتها في الطورين السابقين؛ حيث يتم ضبطها في إطار هوى محدد. ويتجلى التحسيس من خلال التكثيف بفضل معجمة الآثار المعنوية، ويمكن التعرف عليه داخل الخطاب بشكل ملموس.[23]

نجد الذات الراغبة في الرواية يتولد هوى الخوف لديها بفعل الشعور بالفقر والحاجة الملحة للشعور بالطمأنينة والأمن من خلال التناقضات الداخلية، حيث أن التلاحم الجهي يحدث شقًّا داخليًا في الذات سببه وعي الاستحالة الذي يطبعه هوى الخوف ولذلك يندرج الترتيب الجهي للخوف ضمن نوع تنازعي تتأرجح فيه الكفة بين إرادة الكينونة من جهة، ومعرفة عدم الكينونة وعدم قدرة الكينونة من جهة أخرى، دون أن ترجح كفة أحد الطرفين على أحد: "للمرة الأولى لا أكون أنا المسكون وحدي بالخوف، للمرة الأولى تشاركني أنثى خوف الفقد. هذا الخوف الذي لازمني طوال نشأتي في الجبهة؛ إذا أعجبتني فتاة أسأل نفسي ألف مرة ما إذا كانت ستقبل بي، أو تقابلني بازدراء. ولهذا لم يحدث البتة إن كنت من يبادر بإبداء الإعجاب، حتى لو أضعت الفرصة تلو الأخرى. وإذا حدث وبادرت الفتاة، لا تغادر الأسئلة رأسي؛ هل ستتركني؟ وإذا كانت ستفعل، متى ذلك؟ يظل الخوف يسكنني من أن تتركني هي أولًا، ولهذا كنت عادة ما أهرب من خوفي إليه"[24]. تلتقط الذات الراغبة أشباهها في حالات الخوف القادر على تهيئة وانبثاق صور الانفعالات في هيئة أسئلة وجودية تمثل غياب القيمة المنشودة للذات، فالخوف يمثل هوى قارًا في ذات الشخصية الرئيسة، ويشكل بالتالي مسارين انفعاليين تمظهرا في الرواية عبر الانفعال الشعوري والانفعال الجسدي.

أولًا: الانفعال الشعوري

الشعور بالضعف والتضاؤل هو انفعال أولي يتحكم في بقية انثيالات الانفعال وهو متكون من الإحساس الدائم بالفقر وقلة الحيلة: "هام في الشوارع لا يملك وجهة يقصدها. شعر بضآلته وهو يجوب القلاع الأثرية الشامخة على التلال. إلى جواره تعبر مجموعات السّواح الأوروبيين دون أن يثير انتباههم. بدا منسجمًا مع المدينة العتيقة بتناقضها السافر؛ كأنما يجب أن تظل فقيرة منزوية حتى يستمر مرور الأغنياء بها"[25]. الشعور بالضآلة وعدم تميز الذات بصفات تشفع لها الحضور ولفت الانتباه، تناظر الذات مع المدينة العتيقة يشكل تحذيرًا لقيمة الذات وتأصلها في الماضي وشتاتها في الحاضر، كلاهما يشكلان رمزًا للعبور فوقهما، المدينة فقيرة منزوية رغم ما تحمله من هوية قديمة وواضحة، إلا أنها لم تلق التقدير الذي تستحقه؛ فنالت بذلك صفات الجمود والسكون والثبات، مدينة معطلة مثل الذات التي عطلها شعور الخوف رغم استحقاقها بأحقية الحياة الطبيعية.

انفعال الخشية يسيطر على وعي الذات؛ عندما تحاول الانفلات من واقع خوفها بإثارة تساؤلاتها ومحاولة انعتاقها من أزمتها، لكن قيد الخوف وثقل المواجهة يمنعها من الشعور بالطمأنينة: "لكن ماذا لو فعلها؟ ماذا لو فتح النافذة ومد يده إلى الأسفل لينتشل انتظارًا عتيدًا. كاد يفعل لكنه خشي الناس في الأسفل. خشي أن يخدش اعتيادهم، الألفة التي صنعوها مع هذه المسافة الظالمة، حتى أصبحت تعنيهم أكثر من التحام السلم بالنافذة"[26].

انفعال الغيظ يصور أيضًا عجز الذات عن طمأنينتها: "شعر داويت بالغيظ يتسلل إلى نفسه عوض خشيته من إغضابها"[27]. وحينما تفكر الذات في الانعتاق بالانتقام من نظائرها في المخيم، ورغم سلبية ما يضمره خطاب الانتقام من مشاعر سامة، إلا أنه حمل للذات شعور النشوة بإيجابية مطلقة لتحقق الذات فاعليتها وتغلبها على الخوف في لحظة واحدة وأولى عبر خطاب سلبي: "لم يعد الأمر يتعلق بمكان ينام فيه، بقدر ما أراد الخيمة ذاتها، والزاوية ذاتها. أراد الانتقام وحسب. شعر بالنشوة تسري في عروقه وتغذي كبرياءه وهو يتنقل ببصره بين العيون بنظرات جسورة. كانت المرة الأولى التي يستطيع فيها الرد بعد أن كان يكتفي دائمًا بطأطأة رأسه والمضي"[28].

جهل الذات بنفسها وضياع هويتها شعور دائم يلازم الذات، مما خلق مسارات سردية امتدت من أول الحكاية حتى نهايتها، ورغم تذبذب زمن الحكاية وهويات الشخصية الرئيسة المتعددة من (آدال–داويت–داوود–ديفيد) إلا أن تكوين الجهل كان القاسم المشترك في بنائية الذات الذي صنع شعور الخوف المطلق، فالذات تخاف حتى من العيون العابرة، تخاف من اكتشاف أمرها، تخاف الآخر، سيرورة الخوف المتوالية أفقدت الذات بوصلة وجهتها: "تجنّب النظر في وجوه رجال الأمن، وهو يسير في الطريق الضيّق بينما من تبقّى من السيّاح يمضون عائدين في الاتجاه الآخر. لا يعرف لمَ يواصل السير في هذا الطريق، لا يعرف على وجه الدقة، ما إذا كان يقصد الأقصى، أم كنيسة القيامة أم الحائط. إن كان سيصبح داود، أم ديفيد أم داويتْ. كل الذي يعرفه أنه فارغ من الداخل ويبحث عن شيء يستند عليه"[29]. ولذلك نجد انفعال القلق سمة أصيلة وغير طارئة في شعور الذات: "لم يكد يطمئن إلى ارتياحه حتى عاوده القلق، وقد اقترب من حشد آخر يطوق مكان الحادث، ويسد الطريق إلى الساحة"[30].

وعليه، فالحقل الدلالي للانفعال الشعوري يأتي مكملًا لمفاهيم التأسيس الهووي التي انطلق منها هوى الخوف؛ فنجد الخشية وهي أعلى من قيمة الخوف لما تحمله من يقين وعظمة لما يخشاه الإنسان، والغيظ بما يمثله من شدة القهر المعبر عن العجز، لذلك يتأتى انفعال جهل الذات نفسها صادقًا وشارحًا لما يتعرض الذات من واقع مسكون بالخوف.

ثانيًا: الانفعال الجسدي

استطاع الجسد أن يعبر عن انفعالات الذات وكان خاضعًا للهوى في كثير من المواقف، فـ"الجسد يمتد إلى العالم وعيا عبر لغة الحواس الخاصة، فالبصر لغة صورية والسمع لغة صوتية، والشم لغة عضوية بالمعنى الكيميائي للمفردة واللمس لغة شيئية والتذوق لغة جمالية ولعل القاسم المشترك في هذه اللغات الخمس هو تفعيلها لآلية التواصل المستمر بين الجسد ومفردات عالمه المتباينة"[31].

وأهم صور الانفعال الجسدي الذي تمظهر في جسد الذات كانت أفعال المقاومة التي تصدر من الذات في سبيل بقائها في الخفاء، فالتقدم والمضي يعني مواجهة مع الآخر الذي يجهله، مواجهة مع الحقيقة التي يهرب منها: "بقدر ما كان يرغب في اجتياز البوابة الأخيرة، كانت قدماه تقاومان التقدم مع كل فراغ يُخلفه الواقف أمامه، كأنهما تتوقعان فخًا يستدرجهما بخبث. كان يمرّر عينيه بشكل أفقيٍ كرادار خلال المساحة الضئيلة التي تركتها القماشة البيضاء المتدلية على وجهه. تعمّد ألا تلتقي نظراته بأعين الحراس من حوله"[32]. أيضًا من أشكال المقاومة استمرارية الذات في التخفي، فالذات أما أن تهرب، وأما أن تحاول حجب هويتها بحيث يمنعها من الاحتكاك بالآخر: "داويت كان في الوسط، يحكم غطاء رأسه كي يحجب أكبر قدر من ملامحه. لم يتخلص بعد من إحساسه بالانكشاف، ولا يزال يشعر أن ملامحه تجذب الأنظار إليه، تنادي على العابرين لتخبرهم أن اللص هنا، وبحوزته كل الأدلة على جرائمه"[33].

تتجلى أشكال المقاومة في محاولات التفادي من مواجهة الكاميرا، وهي تحمل مفهوم الآخر الذي يحاول كشف الذات واختراق هشاشتها: "أخبرها أنه سعيد، لكن ملامحه المرتبكة كانت تقول شيئا مختلفا. كان يتحدث وهو يتفادى الكاميرا، يشيح بوجهه يمينا ويسارا، وإلى الأسفل، بينما تخرج منه الكلمات متقطعة دون تفكير. حين انتهت المقابلة كانت جبهته تتصبب عرقًا رغم برودة المكان"[34]. أيضًا محاولات تفادي الحجارة وتفادي وقوع الماء الآسن على الذات في صور ممتدة حتى نهاية السرد وما يصحبها من انفعالات خوف تتمظهر في ذروتها في انفعال الذعر: "انتفض مذعورًا وهو يحاول تفادي ماء آسن قذفته في اتجاه جارة عجوز بملابس متسخة مهلهلة. ابتعد مسرعًا"[35].

شعور الابتسام بما يمثله انفعال البهجة في شكل المقاومة يأتي أيضًا عبر خطاب سلبي؛ فالتجاهل يحمل قيمة سلبية تعني عدم المواجهة، وتأتي المقاومة في محاولة التصدي لما يواجه الذات من اعتداء: "وقد اقترب موعد مغادرته كثيرًا. لم يتغير شيء كثيرون يعاملونه بقسوة، وآخرون يتجاهلونه، وقد يهربون منه، لكن مناعته صارت أقوى. أحيان يبتسم متجاهلًا ويمضي، وأحيانًا يحاول التصدي لمن يعتدي عليه"[36].

كما تشكّل انفعال جسدي في صورة الركض، وهو فعل مقاومة حاول فيه الابتعاد عن مصدر الخوف: "كانت الحركة في كل الاتجاهات، ولم يتوقف صراخ الجنود يطلبون التوقف. جرّب أن يعاود السير فأصبح الصوت أكثر حدة. لم يشعر بنفسه إلا وقد بدأ الركض. ركض من كل قلبه، ركض لا يعرف وجهة، كان يريد الابتعاد فقط،

النجاة بما تبقى من جسده وروحه، كان يركض بكل قوته، لكنه يشعر مع كل خطوة أن شيئا منه يسقط. لم يكن يملك ترف التوقف لالتقاطه"[37].

وعليه، تمظهرت صور الانفعال الجسدي في أفعال المقاومة، التي تعكس محاولة انفلات الذات من مشكلة واقعها، ورفضها المستمر للخوف القابع في قاع روحها. مما يمثل تصاعدًا أعلى للهوى، نتصوره على النحو التالي:

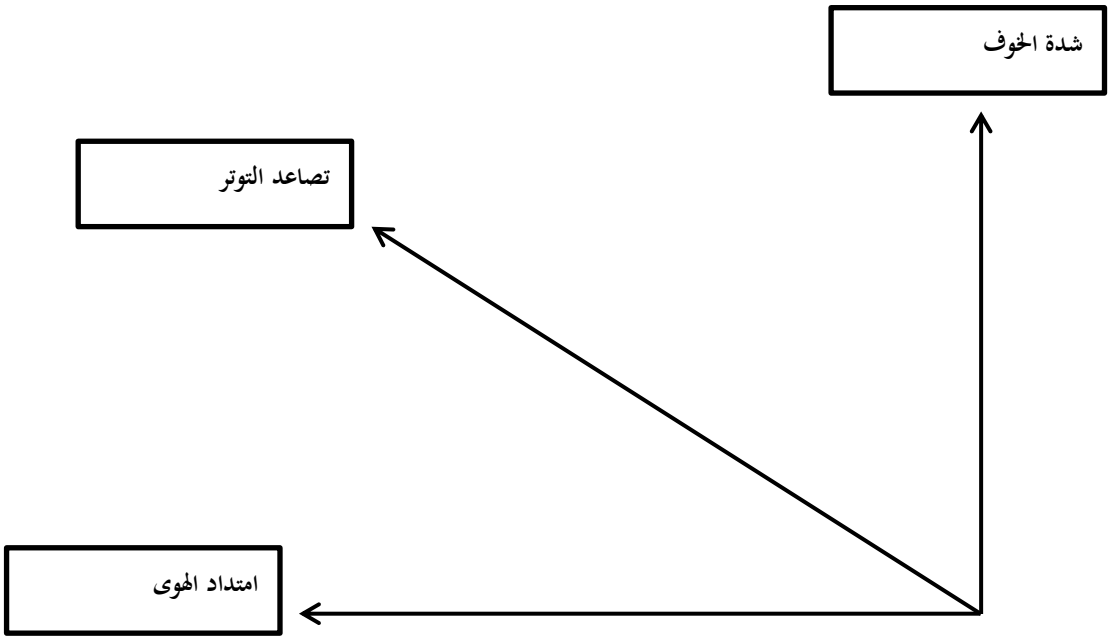

التهذيب

يأتي الحكم الأخلاقي في نهاية المخطط العاطفي إما سلبي وإما إيجابي على ما تمظهر من الأهواء بعد الانفعال، وهي مرحلة التّهذيب بعد تقصي مسارات العاطفة وظهورها في الخطاب؛ فتصبح قابلة للملاحظة وللتّقييم والقياس، هذا ما يكسبها معنى خلاقيًا بالنّسبة لملاحظ من الخارج الذي يقيس شدة الهوى وضعفه، ونظرة الذات والمجتمع إليه. وعلى امتداد السرد يمكن قياس أثر الخوف في حالين مختلفين: سلبي وإيجابي. يمثل التهذيب تخفيضًا لردة الفعل الصادر من الذات الراغبة، وتقنينا لسيرورتها السردية والتوترية: "إن الفاعلية التصويرية تقوم على الأقطاب الدلالية المادية وهي تجليات غير مباشرة للكينونة، وقد تؤثر على ذات الحس بدلا من أن تخضع لها وأما الأسلوب التوتري يوفره الإبطاء الذي يفضي بدوره إلى فقدان مفهوم الزمن وإلى الشعور بالأبدية ... ومن الواضح أن هذا الإبطاء المحيط هو أيضًا إبطاء للأحداث الجسدية وإبطاء للتوترية وبالتالي تخفيض لرد فعل الأحاسيس الص ادرة عن الجسد"[38].

ونلاحظ في خطاب الذات سيرورتها في شكلين إيجابي وسلبي في آن مما يصور واقع الذات ورغباتها التي تخالفه، الواقع سلبي والرغبات إيجابية تتمثل في التوق للعيش الآمن.

أولا: التهذيب الإيجابي

يتمثل التهذيب الإيجابي في قدرة الذات على استكناه واقعها، فالجهل الذي كان مظهرًا من مظاهر الانفعال الشعوري الذي يعكس ضياعَ الهوية تبدّل إلى المعرفة، حيث تهتدي الذات لمعرفتها الخاصة، وهي معرفة ستؤول بالهلاك والنفاد، معرفة تحمل قيمة سلبية: "كنت أعرف في قرارة نفسي أنهم سيأتون لا محالة، فلا شيء في أسمرا يمكن إخفاؤه إلى الأبد. سيشي بي الكارهون أو المحبون أو حتى الذين لا شأن لهم بي. الجميع يريد أن ينجو بنفسه عبر الايقاع بالآخرين. لكني في المقابل كنتُ حريصًا على طمأنة أمي والنأي بها بعيدًا عن مخاوفي الجارحة. كنت أحاول أن أبقى متماسكًا أمامها، وكانت تفعل معي بالمثل، فتحاول إخفاء هلعها من قدومهم، كنا نلعب لعبة صمود مكشوفة، فيما الهشاشة تنخر أرواحنا"[39]. تتراكم المعرفة السلبية وتمتد في مقابل ثبات الذات الراغبة بعد أفعال المقاومة؛ فنجد الحرص والطمأنينة، ومحاولة إرساء استقرار الآخر، وتماسك الذات، وتناظر الآخر معها، كلها أفعال جديدة شكّلت تهذيبًا لهوى الخوف.

كما تشكّل تهذيب إيجابي في الرواية لهوى الخوف؛ فالقبول من الآخرين ساعد الذات في التأقلم مع واقعها، الذات التي استطاعت عقد صداقة مع الآخر ظل يقينها بالصداقة سطحيًا، لم تستطع بعد أن تتعمق في تهذيبها وتأصيله: "استطاع أخيرا، بفضل يعقوب، أن يصبح مقبولًا في الحي. كوّن صداقات ليست عميقة، لكنها غدت تقيه الإساءات التي يطفح بها المكان. أصبحت له مجموعة يمضي الوقت معها، وتسأل عنه إن غاب. كان متشككا من التزامهم تجاهه، حتى وجدهم يرحبون به في غياب صديقه"[40].

كما تصوّر التهذيب الإيجابي في عاطفة الحب؛ فالذات هُذّبت بفعل عامل ايجابي، وهي الطمأنينة التي خلّفها الحب، لذلك انتجت أفعالًا تحمل صفة الإيجابية والحيوية والبهجة، وهي أفعال مغايرة وجديدة على مستوى الخطاب: "لم أنم ليلتي الأولى، كنتُ أنتظر الصباح كأني سألحق بموعدي مع عائشة. استغرقتُ في خيالات؛ أستحم على عجل، أرتدي أجمل ملابسي، أضع عطرًا سبق وفاز بإطراء فتاتي، وأخرج إليها أسابق خطواتي. هذه المرة سأباغتها أنا بمفاجأتي، سأرد لها هدية الأمس بأجمل منها"[41] . عاطفة الحب صنعت تهذيبًا إيجابيًا عاليًا استمر مع الذات في عدة مقاطع سردية، رغم انتهاء هذا الحب بالفراق.

قرار المواجهة والتقدم تهذيب إيجابي بعد عدة أفعال مقاومة شهدتها الذات، هذا يفسر توق الذات إلى تجاوز خوفها، لكن يلاحظ على هذا التهذيب الإيجابي سمة الاستسلام مما يعني توقف الذات وعجزها عن المواصلة والرفض لواقعها: "هكذا فجأة قرر التقدم نحو ما يخشاه. هل هو الاسترخاء الذي بثته الموسيقى في نفسه، أم تراها تلك الكلمات الواثقة التي خرجت من فم سارة؟ أم عدم استعجالها في نيل ما تشاء، حتى أحس أنها صديقة قريبة، وأنه ليس مجرد غرض في طريقها"[42]. شعور الذات بقوتها المؤقتة هو شعور هش مؤقت.

كما نلاحظ التهذيب الإيجابي في آخر هوية للذات وتواجدها في أرض جديدة، الذي يؤكد رغبة الذات في التعايش والحصول على الطمأنينة، فقد تشكّلت أفعال جديدة واتسمت بالعمق أخيرًا؛ فنجد الانسجام، والشعور بالزهو، تلقي الإطراء، التفاني في العمل والانخراط فيه، الشعور بالامتنان: "انسجم داود سريعًا مع مزاج السوق، وقد وصلت فيه الحركة إلى ذروتها مع الضحى. ذهب ليجلب إفطارًا من محل مجاور، بدأ يناول ماريل سُبحًا يطلبها الزبائن، شعر بالزهو وهو يتلقى إطراء من صاحبه على تفانيه في معاونته. لم يكونا قد اتفقا على شيء انخرط داود في مهامه دون أن ينتظر شيئا. كان يتصرف تحت وقع الشعور بالامتنان"[43]. ويستمر هذا التهذيب الإيجابي ليصل إلى حد الألفة، هذا التمظهر الشعوري الذي فُقد منذ البداية وقاومت الذات في سبيل استرجاعه، يحضر متممًا لشكل التهذيب الإيجابي للذات الراغبة؛ فالتعود والتقبل لأكثر فكرة مؤلمة ظل يتحاشاها ويقاومها، وهي فكرة تمثله بالرغوة السوداء التي يلفظها كل عمقٍ ولا يعترف به سوى السطح: "عدا ذلك كان قد ألِف حياته الجديدة. بدأ يعتاد عليها بالأحرى ويتقبلها. تقبّل أكثر فكرة الرغوة السوداء، لم يعد يحاول تجاوزها. ليكن السطح هو مكانه، وماذا في ذلك. هو لم يُجرّب أن يستقر في عمق الأشياء، لم يُجرّب أن يكون في صلب المكان، واهتمام الناس، لا يعرف، ربما كان ذلك سيء أيضًا بطريقة أو بأخرى"[44]. يأتي الوعي بواقع الذات من أعمق صور التهذيب الإيجابي؛ فالذات تدرك أنها لم تستطع أن تخترق حياتها أو حياة الآخرين ولم تنفد إلى عمق أي مجتمع حاولت أن تنتمي له: "في هذه اللحظة أدرك داويت، وهو يرمي بكلماته المعزية، أن تل أبيب لم تكن إلا سطحًا آخر يقف حائلًا بينه وبين أن يغوص للداخل، أن يصبح منتميًا إلى المكان بكليته. هل يقسو على المكان؟ وما الأماكن إلا ناسها"[45]. وفي موضع آخر يصور هذا التهذيب: "أتعبه هذا الترقب لما سيأتي. من أسمرا إلى إنداغابونا إلى تل أبيب، والآن إلى القدس، وكل مكان يلفظه إلى السطح كرغوة، دون أن يمنحه التفاتة تبقيه في العمق"[46]. استمر استسلام الذات لمشاكلها الوجودية، حيث تبرز المشكلة الرئيسة في لون بشرة الذات التي شكلت عائقًا في الحصول على الطمأنينة والعدالة الاجتماعية والاستقرار؛ فلون بشرته ظل يلازمه سمة سلبية في سيرورته السردية واختلاف هوياته: "مرّ أمام مجموعة تجلس في واجهة مقهى إثيوبي. التفت له أحدهم ونبّه البقية قبل أن يخاطبه أحدهم بالأمهرية:

مرحبا بالوافد الجديد.

أشار داويت بيده رادًّا التحية، وهو يغذ السير حتى تجاوزهم، فعاجله آخر بنفس الأمهرية الصافية:

محظوظ يا عبد.

تجاهل الإساءة ومضى في طريقه، لكن دون أن يغيب عنه كيف أن هذه الشتيمة بالذات تطارده أينما حل"[47]. استطاع تقبل الشتيمة بالتجاهل، وكأنه يصنع عالمًا في اللاشعور، منطقة آمنة بلا انفعال واضح. في كل هوية جديدة وأرض جديدة تعاود فكرة تمثل الذات بالرغوة السوداء، وهو يتقبلها حقيقة وواقعًا في كل حكايةٍ يفشل في أن يكون منتميًا لعمق المجتمع : "كان داود غارقًا في المفارقة التي يعيشها الأفارقة الفلسطينيون. لا يعرف لماذا

رأى نفسه فيهم. إنها الرغوة السوداء مجددًا، تطفو على السطح رغم كل محاولاتها أن تصبح في قلب المكان"[48]. وبالتالي نلاحظ أن عوالم التهذيب الإيجابي تركزت في أفعال تقبل الذات لنفسها، وتكوين وعيها المتصالح مع مجتمعها، بعد أن رفضت واقعها واختارت الهجرة، لكنّها عادت إلى أفعال المقاومة بين شدٍّ وجزرٍ، وانتهت بهزيمة الذات وفشلها؛ فلجأت إلى تقبل الواقع واستجابت لظروف اختلافها.

ثانيًا: التهذيب السلبي

يتمثل التهذيب السلبي في تصوير نهاية معاناة الذات وانتفاء سيرورتها بمقتل الذات خطأً من قِبل الآخر الذي لم يتعمد إخافتها أو قتلها، بل قادها هوى الخوف للوقوع في أسر الظن، التي حاولت تفاديه أولًا بالهروب منه لأرض جديدة وهوية جديدة وبمقاومته ثانيًا. وحين باءت بالفشل كل محاولاتها رضخت إلى تقبله ومعايشته دون الوصول إلى عمقه، وفي خضم هذا التعايش الزائف حُرمت الذات من طمأنينتها، وانهت حالتها التوترية لهوى الخوف بالموت والنفاد والعدم: "اخترقت رصاصة صدره، فسقط على ظهره، هنا فقط استطاع أن ينظر بملء عينيه إلى الخلف. كان الجنود قد أمسكوا بشاب وبدأوا في تقييده، لم يكن أمر التوقف إذن يخصه، لكنه كان قد تعود على طريقة أقداره في إدارة لعبتها معه، لم تكن لتفوت متعة أن تجعله المعني دائما بكل فاجعة، ولم قد يظن أن الأمر مختلف الآن"[49].

أيضًا تلخص التهذيب السلبي في عدمية هوية الذات. الذات التي ناضلت طيلة حكايتها في الحصول على اليقين والطمأنينة، انتهت بها الحكاية حيث لا اسم لا ديانة لا جنسية. فقدٌ للهوية بشكل كامل، أقصاها عن المشهد السردي، وأذن بنهايتها ونفادها" "أراد أن يسألهم عن هويته، عن اسمه إن كان داود أم ديفيد أم داويتْ. أن يسأل عن ديانته، إن كان مسلمًا أم مسيحيًا أم يهوديًا. عن جنسيته، إن كان إرتريا أم إثيوبيًا إم إسرائيليًا أم فلسطينيًا. ليته يجد الإجابة. كم يحتاجها الآن، والآن بالذات، حين التفت له الناس أخيرًا ليعرفوا هويته التي قضى يبحث عن مستقر لها"[50]. وعليه، فالموت هذّب هوى الخوف بشكلٍ قاطع، وتفرّد بشكل التهذيب السلبي للذات الراغبة، الموت الذي عجزت الذات عن مقاومته بفعل الخوف. الموت بشكله الوجودي أنهى أزمتها الوجودية. وبذلك نشهد انتهاء الهوى وعدميته من خلال الرسم البياني التالي:

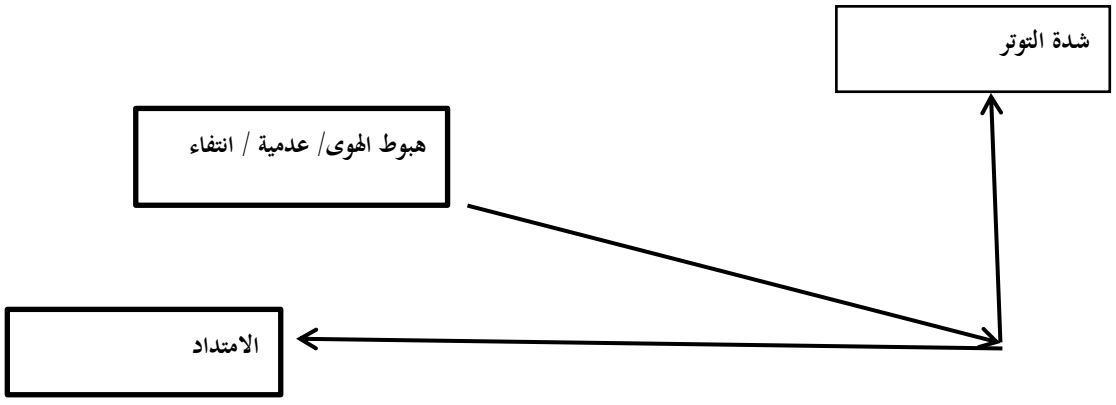

وعليه، نستطيع رصد مسار الهوى، وكشف المخطط النظامي الهووي على النحو التالي:

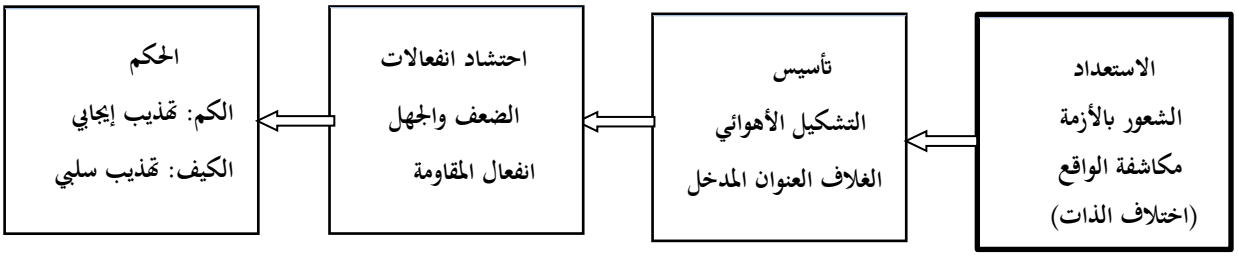

تركيب

تجلّى هوى الخوف في رواية "رغوة سوداء" بشكل ظاهر منذ أول الرواية؛ فكان التأسيس للهوى واضحًا؛ حيث رُصد المعنى الأهوائي في أول تكونه الهلامي من خلال عتبة العنوان والغلاف، ونمذجة الشخصية الرئيسة في صور الآخرين، وإحساسه بالفقر والعوز، وانتفاء الطمأنينة والجهل الذي يطوق الذات، التي تعد المادة الأولية التي يتركب منها الهوى مما مهد لانطلاق هوى الخوف، الذي تمظهر في أشكال الانفعال الشعوري والجسدي التي مثلت مستويات الكثافة والامتداد وقوة الانتشار للهوى. حتى وصل الهوى إلى درجة التهذيب أي الحكم الأخلاقي على الهوى؛ فقد تمظهر إيجابيًا في أكثر من موضع في صيغ أفعال مقاومة يفسرها رفض الذات لواقعها، وتمظهر التهذيب سلبيًا في موت الذات وعدميتها.

وقد خلص البحث إلى عدة نتائج، وهي على النحو التالي:

- صنعت الذات الراغبة الكفايات الهووية عبر إنشاء نقاط شعورية متكررة ذات دينامية متحركة.
- تشكلت موضوعة الاستهواء في الرواية من العتبات الأولى؛ في الغلاف والعنوان والمدخل السردي ونمذجة الآخر.
- تجلى التأسيس من خلال التعبير عن معاناة الذات بين الرغبة في الهروب، أو البقاء للمواجهة.
- تحدد الاستعداد الهووي في التزام الذات بالصمت، ولوذها بمواجهة الذات من الداخل.
- تجلّت مناطق شعورية صغرى في طور استعداد الذات (القلق، الغيظ، العجز).
- تحيين صيغ الاستعداد الهووي للذات الراغبة باختيار فكرة الهروب.
- استطاعت التوترات/ صيغ الاستعداد الهووي الانتقال إلى هوى مستقل وواضح ومتجلٍ (الخوف).
- تشكلت مرحلة الانفعال من خلال انفعال شعوري وانفعال جسدي.
- رصد الانفعالُ الشعوري احتشاد عدة مناطق شعورية أتت مكملة لمفاهيم التأسيس الهووي.
- عبّرت أفعال المقاومة الجسدية عن محاولات التفادي الشعوري حينًا، ومواجهة الآخر حينًا آخر.

- كشف تقصي مسارات الهوى التوليدية في الرواية أنها هذبت إيجابيًا بشكل كمي من خلال رصد البنيات العميقة لهوى الخوف.
- حاولت الذات الراغبة التعايش والانسجام مع واقعها بتحقيق كفايتها في الرغبة والإرادة، مما دلَّ على استسلام الذات.
- أقصى الموت نزوع الذات للتعايش؛ فهذبه تهذيبًا سلبيًا قاطعًا، وأنهى أزمتها الوجودية.
- رصدَ مخطط النظام العاطفي انتهاء مسار الهوى بالنفاد والعدمية.

المراجع

رغوة سوداء، حجي جابر، دار التنوير للطباعة والنشر، مصر– القاهرة، ط3، 2019.

سيمياء المرئي، جاك فونتاني، تر: علي أسعد، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2003.

سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، ألجيرداس غريماس و جاك فونتيني ت: سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2010م.

سيميائيات مدرسة باريس، المكاسب والمشاريع (مقارنة إبيستمولوجية): محمد بادي، مجلة عالم الفكر(السيميائيات)، ص10.

سيميائية الأهواء، محمد الداهي، مجلة عالم الفكر (السيميائيات)، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 3، المجلد2007،35.

شعرية الجسد، شوكت نبيل المصري، الهيئة العامة للثقافة، 2012.

يتم النص، الجينيالوجيا الضائعة، أحمد يوسف، منشورات الاختلاف، الجزائر 2002.

Greimas.A.J – Fantanille. J, Sémiotique des passions.

[1] سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، ألجيرداس غريماس و جاك فونتيني ت: سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2010م.

[2] سيميائية الأهواء، محمد الداهي، مجلة عالم الفكر (السيميائيات)، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 3، المجلد35،2007،ص213.

[3] سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، مرجع سابق،، ص12

[4] تتعلق الأدوار الباتيمية بالحب والغيرة والغضب.

[5] ينظر: سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس. مرجع سابق، ص 13.

[6] سيميائيات مدرسة باريس، المكاسب والمشاريع(مقارنة إبيستمولوجية) محمد بادي، مجلة عالم الفكر(السيميائيات)، ص10.

[7] سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، مرجع سابق، ص113.

[8] سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، مرجع سابق، ص 129.

[9] رغوة سوداء، حجي جابر، دار التنوير للطباعة والنشر، مصر- القاهرة، ط3، 2019.

[10] رغوة سوداء، مصدر سابق، ص 47.

[11] سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، مرجع سابق، ص267.

[12] .Greimas.A.J – Fantanille. J, Sémiotique des passions ,p.162.

[13] رغوة سوداء، مصدر سابق، ص 8.

[14] رغوة سوداء، مصدر سابق، ص 9-10.

[15] نفسه، ص 19-20.

[16] رغوة سوداء، مصدر سابق، ص 12.

[17] يتم النص، الجينيالوجيا الضائعة، أحمد يوسف، منشورات الاختلاف، الجزائر 2002، ط1، ص 197.

[18] رغوة سوداء، مصدر سابق، ص 168.

[19] نفسه، ص 231.

[20] رغوة سوداء، مصدر سابق، ص 29.

[21] نفسه، 39.

[22] نفسه، ص 44.

[23] ألجيرداس غريماس و جاك فونتيني: سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس 203

[24] رغوة سوداء، مصدر سابق، ص 133.

[25] نفسه، ص 27.

[26] نفسه، ص 161.

[27] رغوة سوداء، مصدر سابق، ص 48.

[28] نفسه، ص 59.

[29] نفسه، ص 232-233.

[30] نفسه، ص 248.

[31] شعرية الجسد، نبيل شوكت المصري، الهيئة العامة للثقافة، القاهرة، 2012م، ص 16.

[32] رغوة سوداء، مصدر سابق، ص 19.

[33] نفسه، ص 55.

[34] نفسه، ص 62.

[35] نفسه، ص 32.

[36] –رغوة سوداء، مصدر سابق، ص 49.

[37] نفسه، ص 248.

[38] سيمياء المرئي، جاك فونتاني، تر: علي أسعد، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2003، ص210.

[39] رغوة سوداء، مصدر سابق، ص 81.

[40] رغوة سوداء، مصدر سابق، ص 125.

[41] نفسه، ص 149.

[42] نفسه، ص 198.

[43] رغوة سوداء، مصدر سابق، ص 238–239.

[44] نفسه، ص 246.

[45] نفسه، ص 138.

[46] نفسه، ص 140.

[47] رغوة سوداء، مصدر سابق، ص 92.

[48] نفسه، ص 244.

[49] نفسه، ص 248.

[50] نفسه، ص 249.

Albaha University Journal of Human Sciences

Periodical - Academic - Refereed

e-ISSN: 1658 – 7472 Vol. 10 Issue No.: 37 January – March 2024

Kingdom Saudi Arabia
Ministry of Education

Al Baha University

University Vice Presidency for Postgraduate Studies and Scientific Research

Al Baha University Journal for Humanities

Published by Al-Baha University
Periodical - Scientific - Refereed

Vision: To be a scientific journal characterized by publishing scientific research that serves the goals of comprehensive development in the Kingdom of Saudi Arabia; serving original scientific research nationally and internationally; contributing to the development of research capabilities of university members and the like inside and outside the university as well as the country.

Mission: Activating the university's role in raising the level of research performance of its employees to serve the university's goals, achieve the desired development goals, and increase constructive interaction with local, regional, and global community institutions.

Chairman of the Editorial Board:

Prof. Saeed ibn Ahmed Eidan Al-Zahran

Deputy Chairman of the Editorial Board:

Prof. Mohammad Hasan Zahir Al Shihri

Director of the Editorial Board:

Dr. Yahya Saleh Hasan Dahami, Associate Professor

Members of the Editorial Board:

Prof. Fahad Mohammad Al Harithi

Dr. Ahmad Mohammad Al Fagaih, Associate Professor

Dr. Abdullah ibn Zahir Al Thagafi

e-ISSN: 1658 – 7472

PO Box: 1988
Tel: 00966 17 7274111/ 00966 17:7250341
Ext: 1314
Email: buj@bu.edu.sa
Website:
https://portal.bu.edu.sa/ar/web/bujhs

Contents

Introduction to the journal .....

Editorial Board of Al Baha University Journal for Human Sciences .....

Contents .....

Nomophobia among males and females in Makkah Al-Mukarramah region in the light of some demographic variables 1 – 27

Jawaher Ibrahim Abdo Zubaidi

Purposes of Surah Al-Mumtahina and its impact on the lives of contemporary Muslims: An interpretive study 28 - 74

Waleed bin Abdul Mohsen bin Ahmed Al-Omari

Grounds of goal establishment in the Holy Quran: An applied study to the Debt Verse 75 - 97

Fahad salem rafea alghamdi

The role of university education in developing students' future skills in light of the human capabilities development program: Shaqra University as a model 98 - 130

Nouf M Alotaibi

The semiotics of the verbal title in the collection (Battle without a Banner) by Ghazi Al-Gosaibi 131 - 156

Ibrahim Elagbash Elamen Abdeldafi

The Path of the Emotional Hero: Semiotics of the Emotional System in the Novel of "Black Foam" by Haji Jabir 157- 177

Amira bint Muharib Al-Otaibi

Hadith of Surad bin Abdullah Al-Azdi- May Allah be pleased with him- coming with his delegation, peace and blessings be upon the prophet, and his conquest of Jorash Narration and Knowledge 178 – 244

Ibrahim Barakat Saleh IeyyalAwwad

A review of three major theories in second language acquisition; behaviourist, cognitive and interactionist (English) 245 – 265

Nesreen Saud Alahmadi

Examining the Role of Social Media in Shaping Language Preferences in Different Generational Groups (English) 266 – 286

Abdulaziz Mushabbab Alshahrani

2006
BU
جامعة الباحة
Al-Baha University

Albaha University Journal of Human Sciences

Periodical - Academic - Refereed

Published by Al Baha University

e-ISSN: 1658 – 7472 | Vol. 10 | Issue No.: 37 | January – March 2024

Email: buj@bu.edu.sa | https://portal.bu.edu.sa/ar/web/bujhs